أهمية المصادر الشفوية في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية.
"شهادات بعض المعتقلين أنموذجا"

The Iimportonce of Oral Source In Writing the History of The Algerian Revolution(Testimonies of Some Detainees as a Sample)

د. نورالدين مقدر
جامعة محمد بوضياف المسيلة
Megder2020@gmail.com

تاريخ الاستلام: 12 /فيفري/2020 تاريخ القبول: 06 /جوان/2020

الملخص:

تعد المصادر الشفوية من أهم مصادر كتابة تاريخ الثورة الجزائرية، وفي هذا المقال سنتعرف على المنهج الشفوي وقواعد الاعتماد عليه وقيمته خاصة في كتابة تاريخ ثورة التحرير الجزائرية، كما أخذنا نماذج لبعض المعتقلين بمعتقل الشلال بالمسيلة تروي المعاملات القاسية للاستعمار الفرنسي والحياة داخل المعتقلات.

الكلمات المفتاحية: المصادر الشفوية - الثورة الجزائرية – الاستعمار - المعتقلات

Abstract:

Oral source are consideredas one of the most important source in Writing the History of the Algerian Revolution. In This Article, We are going to identify and explain the oral method, its rules and values especially in writing the History of the Algerian Revolution and we are going to take some oral testimonies of some de tainees in " Chlel" Detention in "Msila" as a sample.

مقدمة:

من أهم مصادر كتابة تاريخ الجزائر المعاصر وتاريخ الثورة التحريرية على وجه الخصوص الوثائق الأرشيفية والمصادر الشفوية، بل أصبح من المفيد جدًا الاعتماد على المصادر الشفوية بالنظر للتطور المذهل الذي تعرفه الوسائل والتقنيات التكنولوجية الحديثة في مجال الإعلام والاتصال، التي أصبحت أداة مهمة في عملية تدوين هذه ا لشهادات بالصورة والصوت للذين عايش والأحداث أو كانوا أطرافا فاعلين فيها معا لتعليق عليها، ومن خلال ذلك يتبين لناب أنه لا يمكنبأيحالمنالأحوالالاستغناءعنالشهاداتالشفويةفيدراسةالوقائعالتاريخيةغيرالبعيدةزمنيا،بلأصبحمنالضروريالتأكيدعليهامنالناحيةالعلميةوالمنهجيةليظلالمنهجالشفويممارسةمعرفيةفيظلالتحولاتالكبيرةالتيتعرفهاوسائلالإعلام والاتصال.

ومن خلال ذلك يمكن طرح الإشكالية التالية: ماهي المصادر الشفوية وما قواعدا لاعتماد عليها؟ وماقيمةوأهميةتسجيلالشهاداتالشفويةبالنسبةللدارسينوالباحثينوخاصةفيسياقثورةالتحريرالجزائرية؟

وفي هذا المقال سنعرّف بالمنهج الشفوي و قواعد الاعتماد عليه. كما سنبين قيمته وأهميته خاصة في كتابة تاريخ ثورة التحرير الجزائرية ونأخذ نماذج من شهادات شفوية لبعض المعتقلين من خلال المعاملات والحياة داخل ا لمعتقلات ا لتي أقامتها سلطات الاحتلال الفرنسي مع بداية الثورة ونأخذ معتقل الشلال بالمسيلة كأنموذجًا. وذلك من خلال أبحاث قمنا بها واستقينا بعضا منها من أفواه الذين عاشوا بداخل تلك المعتقلات.

1.مفهوم المنهج الشفوي:

يعتبر المنهج الشفوي أداة مهمة في تسجيل الشهادات الحية حول قضايا مختلفة تهم حياة جميع الناس، ويعد كذلك أحد طرق البحث التاريخي، غالبا ما يكون مستبعدا من المصادر الأرشيفية المكتوبة. ويمكن له أن يرقى إلى منهج علمي يسعى إلى تحويل الروايات الشفوية إلى نصوص مكتوبة باستعمال الوسائل والتقنيات الحديثة لتوثيق الأخبار الماضية من خلال تدوين الوقائع التاريخية على أسس علمية. يعتمد هذا المنهج بالأساس على إجراءات بحثية، نقطتها المحورية المقابلات المباشرة بين الباحث وأصحاب الشهادات، أي الفاعلين التاريخيين، ويتم التدقيق فيها والتأكيد من صحتها بمقارنتها مع المصادر الأخرى.

بدأ الاهتمام بالمنهج الشفوي عند العرب والمسلمين منذ القرون الهجرية الأولى معتمدين على منهج الإسناد بهدف تدوين الحديث الشريف والسيرة النبوية وسير أعمال الصحابة الأقربين وتاريخ الفتوحات الإسلامية[1]. وقامت المؤسسات الجامعية والبحثية منذ النصف الثاني من القرن الماضي في المجتمعات الغربية بإعادة تجديد هذا المنهج انطلاقا من ما وصلت إليه العلوم والمناهج من تقدم، حيث أولت اهتماما علميا كبيرا، لما له من دور فعال في الدراسات التاريخية والأنثروبولوجيا. وتجلى ذلك من خلال إنشاء مراكز وجمعيات علمية تهتم بمجال التاريخ الشفوي[2] ورغم المجهودات المبذولة في تطوير هذا المنهج الجديد في شقه النظري وتحديد تقنياته الإجرائية، إلا أنه بقي متأخرا في الدول حديثة الاستقلال مثل الجزائر التي تحتاج إلى جمع الشهادات الحية من أولئك الذين عايشوا أحداث الثورة التحريرية وتكليف مؤسسات بحثية علمية ترعى هذه العملية[3].

إن الشهادات الحية باعتبارها ذكريات شخصية سوف تضيع مع رحيل أصحابها إن لم تسجل وتوثق على أن تترك المعالجة والنقد والتحليل لأصحاب الاختصاص أي للمؤرخين.

إن لهذا النوع من المصادر(الروايات الشفوية) أهمية كبيرة تساهم في إثراء المصادر وتنويعها بغية توسيع المعرفة التاريخية.

2. أهمية المنهج الشفوي:

إن الوثائق الأرشيفية أصبحت لا تكف لوصف وتفسير الوقائع التاريخية. وفي الواقع الباحث في الدراسات العليا يتفادى في غالب الأحيان جمع الشهادات الحية باعتبارها عمل شاق ومتعب، بالرغم من دورها الكبير في الدراسات التاريخية الجادة في الأوساط الأكاديمية.

تكمن أهمية المصادر الشفوية في ملء الفراغ وسد ما ضاع من وثائق مكتوبة أو ما صدر عن السلطات الاستعمارية.

تعتبر مصدرا للمعلومات الناجمة عن ما تبقى من ذكريات الناس حول الكثير من المسائل التاريخية.

لقد شددت الكثير من الدراسات الحديثة على أهمية الروايات الشفوية لسد الفراغ الذي يمكن أن تتركه الوثائق الأرشيفية. وللمنهج الشفوي فوائد كثيرة تتمثل في تدقيق بعض المسائل مع تقديم الحجج والبراهين مع ترك حق الرد عليها.

وكلنا ندرك أهمية تدوين تاريخ الثورة التحريرية ودور الروايات الشفوية في الأبحاث التاريخية الأكاديمية خاصة المتعلقة بهذه الثورة. فهي مكملة للمصادر المكتوبة والتي تتضمن هي الأخرى معلومات كثيرة عن أحداث الثورة ولا يمكن الاستغناء عنها. ويعد المنهج الشفوي في هذا الميدان الأكثر تناسبا مع طبيعة هذه الدراسات، ولقد عرف هذا المنهج رواجا كبيرا في أوساط المختصين والجامعيين الغربيين لما له من أهمية علمية في استغلال بطريقة محكمة لمقاربة الحقائق التاريخية بموضوعية من خلال مقارنة المعلومات المختلفة والمتنوعة المستقاة من مختلف المصادر. وتبرز أهمية هذا المنهج أكثر عند تناول مواضيع تاريخية تكون أقرب إلى الحاضر، بمعنى مازال يوجد الفاعلين على قيد الحياة يمكنهم المساهمة سواء من خلال نشر مذكراتهم الشخصية أو الإدلاء بآرائهم حول القضايا التي عايشوها، ويبدو أن الشهادات الحية المسجلة لتغطية مجريات أحداث الثورة التحريرية لم تحظى بالأهمية المطلوبة في دراسة تاريخنا المعاصر من قبل المؤرخين فإن الشهادات الحية الصادرة عن الأجيال المعاصرة هي السبيل الوحيد الذي يساعدنا على تدقيق المعلومات المدونة في الورق وتقييمها[1].

3.قواعد المنهج الشفوي:

حتى يتسنى للباحث الاعتماد على الروايات الشفوية، يجب مراعاة القواعد المنهجية التالية:

- أن يكون الشاهد قد عايش الحدث التاريخي وانخرط فيه.
- حرية التعبير السائدة في المجتمع والقدرة على قول الحقيقة بتفاصيلها.
- التحضير الجيد للمقابلة مع توفير الجو النفسي والمادي اللائقين لتجاوز العقبات التي يمكن أن تقف أمام نجاحها وتقلل من مصداقيتها مع استعمال وسائل التسجيل إن أمكن ذلك.
- أن يكون الباحث ملما بموضوع محل الدراسة إلماما واسعا.
- أن يملك الباحث القدرات المعرفية والمهارات التقنية اللازمة لمحاورة الناس ومناقشتهم.

- نقد المصادر الشفوية والتدقيق من صحتها وتجريدها من التأثيرات الذاتية، لأنه يمكن أن تكون غير دقيقة وغامضة نظرا لاضطراب الذاكرة بالنسبة للمتقدمين في السن، كما أنها لا تخلو من العاطفة، حيث أن صاحبها بطبعه يميل إلى تضخيم الأنا من خلال إبراز دوره والتقليل من دور الآخرين.
- الحرص على التعرف إلى مقاصد الفاعل التاريخي، أي محاولة معرفة نواياه الصادقة.
- نقل المصدر الشفوي إلى مصدر مكتوب، بعد مقارنته مع المصادر الأخرى[1].

سنتطرق لشهادات بعض المعتقلين الذين اعتقلوا من طرف سلطات الاحتلال الفرنسي وزجت بهم في المعتقلات التي أقامتها خلال الثورة التحريرية على المستوى الوطني، وللحديث عن هذا الموضوع يتطلب الغوص كثيرا، والتحرك ميدانيا مع من عايشوا هذا الواقع المؤلم وهو ليس بالأمر الهين، وبعد محاولات عديدة خلال دراسات لنا سابقة للموضوع حيث ألتقينا الكثير ممن اعتقلوا في معتقلات مختلفة عبر الوطن، وبعد أن اعتمدنا المنهج الشفوي أخذنا شهاداتهم ووثقناها. كما توجد شهادات للكثير ممن اعتقلوا وثّقها أصحابها مثل المجاهد محمد الطاهر عزوي في كتابه ذكريات المعتقلين، والمجاهد أحسن بن بلقاسم كافي في كتابه نزيل المعتقلات.

وسنتطرق بالدراسة والتحليل معتمدين المنهج الشفوي لأحد المعتقلات التي اقامتها السلطات الفرنسية والتي تدخل ضمن استراتيجيتها بعد اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 بهدف وقف المد الثوري. والذي يعتبر من أوائل المعتقلات التي انشأتها السلطات الفرنسية إنه معتقل الشلال بمنطقة الحضنة والذي يقع جنوب المسيلة بنحو37 كلم ونتعرف على الكثير من الشهادات الحية ممن كانوا بداخل هذا المعتقل. حول التعذيب والمعاملات السيئة والجرائم التي ارتكبتها السلطات الفرنسية في حق الشعب الجزائري بتلك المعتقلات وبشهادة حتى الفرنسيين أنفسهم. ومعتقل الشلال بالمسيلة أنموذجا.

4.شهادات شفوية لبعض المعتقلين بمعتقل الشلال بالمسيلة:

تم إنشاء معتقل الشلال استنادا لقانون حالة الطوارئ الصادر في 03 أفريل 1955، بالمكان المسمى حاليا العجيلة ببلدية خطوطي سد الجير دائرة الشلال. وهو معروف بمعتقل الشلال يبعد ب37 كلم جنوب المسيلة، في سهل منبسط فسيح خال من النباتات إلا بعض النباتات السهبية كالشيح والحدج، في رقعة جغرافية جرداء مترامية الأطراف[1]. يقع في أرض منبسطة مالحة، يحده من الشرق الطريق المؤدية من المسيلة إلى بوسعادة ومن الغرب وادي اللحم، تتميز هذه المنطقة بالحرارة الشديدة[2].

ويعد معتقل الشلال من أوائل المعتقلات التي أنشئت في الجزائر أثناء الثورة التحريريةحيث بعد انطلاق الثورة قامت السلطات الفرنسية برد فعل عنيف على السكان والوطنيين خاصة في منطقة الأوراس حيث أوقفت المناضلين والسياسيين والمثقفين ومناصري القضية الوطنية، ونقلتهم إلى معتقل الشلال الذي تم فتحه رسميا في بداية شهر ماي 1955[3] قبل أن تكتمل به الأشغال. ولكنه لم يدم طويلا. وهو عبارة عن عشرات الخيم، وعلى مقربة من خيم المعتقلين وفي خط متواز تقوم بناءات خشبية خاصة بالإدارة.

تتميز الأرض التي أقيم بها المعتقل بانبساطها وانكشافها. كان يدير هذا المعتقل ضابط اسمه "هانس" يساعده في مهمة الأمن عناصر من الحركة وضابط شرطة مدني.

5-الحياة داخل المعتقل:

رغم أن معتقل الشلال لم يدم طويلا، حيث اشتغل خمسة أشهر فقط، ثم نقل إلى معتقل الجرف ، إلا أنه يعتبر من أهم المعتقلات تعذيبا للمعتقلين في السنة الأولى من الثورة[4]. وفي المقابل شهد حياة ثرية ومواقف وكفاحا مستميتا ضد الإدارة الفرنسية التي اتخذت من التعذيب الشنيع وإهانة كرامة الإنسان عرفا وقانونا منتهكة بذلك كل الأعراف والقوانين الدولية، ومع ذلك فكل المعتقلين الذين التقينا بهم أو قرأنا لهم يعتزون بمرحلة اعتقالهم؛ لأنها مرحلة تجسد الإرادة والصّمود اللذين مكناهم من تحويل السجون والمعتقلات إلى معاقل للكفاح والنضال ضد الاستعمار. ولم يستسلم أي مناضل صادق ومخلص أمام قساوة الحراس والجنود الذين تفننوا في تعذيب المعتقلين[5].

ومعتقل الشلال واحد من تلك المعتقلات التي عاش معتقلوه جحيما ومعاناة يعجز اللسان عن وصفها بناءً على الروايات الشفوية للذين عاشوا فيه، وحتى بشهادة الفرنسيين أنفسهم، حيث وصف أحد مفتشي الإدارة في التقرير الذي أعده حول المعتقلات في الجزائر بأن معتقل الشلال يتميز بنظام قاس لا يوجد مثله في بقية المعتقلات وهو شبيه بالمعتقلات النازية[1]. وفي المقابل يمثل صورة من صور التضامن بين المعتقلين، والتحدي والكفاح ضد الإدارة الفرنسية. وفيما يلي بعض النماذج من أساليب التعذيب وبعض الأمثلة من صور التضامن بين المعتقلين والتحدي والنضال ضد الإدارة الفرنسية وهذه الأمثلة على سبيل المثال لا على سبيل الحصر. فتحت السلطات الفرنسية معتقل الشلال الذي كان جحيما لا يطاق، فظروف الحياة داخل هذا المعتقل يعتبر تعذيبا في حد ذاته حسب شهادة بعض من اعتقلوا به.

- المعتقل عبارة عن خيم كل خيمة حشر فيها عشرة معتقلين يفترشون الرمل في حرارة مرتفعة جدا لا تطاق، يتصببون عرقا ولا ينامون من شدة الحر اللاهب.
- كثرة العقارب التي تزعج المعتقلين خاصة في الليل، ولم يسلم من لدغها إلا القليل. حيث يوميا يسقط ضحايا لتلك العقارب يلدغون ويحملون على عجل للعيادة وقاية من الموت فقط، وكان ذلك يحلو للحراس والجنود الفرنسيين[2].

- أما عن التغذية فيصفها أحسن بن بلقاسم كافي وهو أحد المعتقلين في الشلال بأنها كانت من السوء والرداءة بحيث يبدو من الظلم للألفاظ إطلاق اسم التغذية عليها؛ فهي تسبب الأمراض الخطيرة وتقضي على من اضطر إليها بالموت البطيء. كانت الوجبات تطهى في صفائح كبيرة تسع ل200 لتر، توضع فيها غالبا ويوميا ماء ساخن ممزوج بحبات فلفل. وقطعة من الخبز وحبات من التمر المسمى بالفشفاش الأمر الذي جعل المعتقلين عرضة لأمراض في الأمعاء، أما المراقبة الصحية فهي منعدمة نهائيا[3]. وشرب الماء في الأواني التي يرميها الجيش الفرنسي في المزبلة بعد تنظيفها بالماء والرمل.

ومن بين أساليب التعذيب والإهانة العقاب الجماعي، فعندما يحدث أمر ما داخل المعتقل كانت الإدارة الاستعمارية في المعتقل تعاقب المعتقلين وتجبرهم على الوقوف جماعات تحت أشعة الشمس الحارقة لساعات عدة مرات في اليوم[1].

- عقابهم فرادى كتكبيلهم يوما كاملا تحت أشعة الشمس في عمود كهربائي، أو إدخال رؤوسهم في أحواض مائية ملوثة لمدة من الزمن. وخصصت أحواض مائية لذلك الغرض مازالت تلك الأحواض شاهدة على ذلك إلى يومنا هذا.

- تسخير المعتقلين للعمل في سد فلاح حيث كان اتفاق بين حاكم مقاطعة قسنطينة ومقاول سطيف " كنزلاس" كانت السلطات الفرنسية تعتقل المواطنين بحجة التدابير الوقائية، ثم ترسلهم إلى معتقل الشلال بوصفهم محتجزين تحوم حولهم الشبهة ليقيموا هناك ريثما يبت في أمرهم. وكان المقاول كنزلاس يستقبلهم على رأس كوكبة من الجند على أنهم مسخرون للاستخدام في سد فلاح على بعد عدة كيلو مترات من المعتقل، وكان جمع كبير من المعتقلين يساقون يوميا إلى ذلك السد لصنع الطوب[2]، وتنقية وادي اللحم من الأحجار والأعشاب[3]. ويعودون بعد عمل شاق منذ طلوع الشمس حتى غروبها إلى مقر إقامتهم[4]. وهي إهانة ومؤامرة ضد المعتقلين لأجل إذلالهم وإهانتهم.

ويذكر بعض ممن اعتقلوا في هذا المعتقل أنه في يوم عيد الأضحى لسنة 1955 حيث تكرم أهل المسيلة تضامنا مع إخوانهم وأشقائهم المعتقلين بأكلات الكسكسي والدلاع واللحم، لكن الإدارة الفرنسية تركت تلك المأكولات أمام الشمس يوما كاملا ومكشوفة بدون غطاء، وفي المساء وزعتها على المعتقلين، بعد أن اختمرت وتعفنت بالجراثيم ويذكر محمد الطاهر عزوي: " أن أغلب المعتقلين أصيبوا بتسمم حاد، فسقط العشرات راحوا يهرولون نحو العيادة والكثير منهم يتساقطون بسبب الأوجاع والآلام الحادة والجنود الفرنسيين يتفرجون ويتلذذون بآلام الغير"[5].

6.صور من النضال في المعتقل:

ومن أهم صور النضال داخل معتقل الشلال ذلك التضامن بين المعتقلين والتحدي للإدارة الفرنسية من خلال الموقف الموحد الذي اتخذ ابتداء من 09 جوان 1955 بعد اختيار قيادة من كبار المناضلين ممّن عرفوا بممارسة السياسة ومعرفة أساليبها، حيث اتخذ قرار الإضراب عن العمل الإجباري في سد فلاح، والإضراب عن الطعام، والامتناع عن أي حركة، حيث أنه في صبيحة يوم 09 جوان 1955، خيم على المعتقل سكون غريب وصمت رهيب، على غير العادة فلا حركة ولا ظهور خارج الخيم، بل لم يبرح المعتقلون أماكن نومهم في انتظار تطور الأحداث. وحينها أقبل الضابط مدير المعتقل مع جنوده يستفسر عن مغزى هذا الهدوء الغريب، ويتساءل لماذا لم يحضر العمال كالمعتاد؟ ولماذا تنعدم الحركة في المعتقل؟ فقام باستدعاء رؤساء الخيم، لكنهم امتنعوا الخوض في النقاش حول الموضوع، واكتفوا بأن المعتقلين في إضراب واحتجاج ثم استأذنوا وانصرفوا إلى خيمهم. وقرر الضابط منع التجوال في المعتقل وعدم مبارحة الخيم، الشيء الذي كان المعتقلون ملتزمين به من تلقاء أنفسهم، وكثف الحراسة ومضت أيام وتواصل الإضراب، ثم قرر استدعاء المعتقلين فرادى وجماعات من الجهة الواحدة لبث التفرقة، وغرس بذور الجهوية لكن كل ما قام به خاب أمام صمود وعزيمة المعتقلين على مواصلة الإضراب.

وفي اليوم السابع للإضراب طلب الضابط وفدا من المعتقلين لمقابلته وتم اللقاء وطرحت المطالب المتمثلة في:

– رفض عمل السخرة.

- تحسين الوضع داخل المعتقل.

- الاعتراف بالصفة السياسية للمعتقلين وهو الأهم. ووعد الضابط التفكير بجدية في الموضوع ولكن في الواقع لجأ إلى العنف ضد المعتقلين، حيث كان الجنود يخرجون المعتقلين من خيمهم بالقوة ويجبرونهم على الوقوف تحت أشعة الشمس المحرقة لمدة ساعات ثم يعيدونهم إلى أماكنهم بالضرب بأعقاب البنادق والسب والشتم، وما زادهم ذلك إلا عزيمة وإصرارا، وازداد الوضع تأزما والموقف صلابة[1].

ومن بين الشخصيات التي خططت لذلك الإضراب المحكم المناضل مسعود بوقادوم[1]، حيث يعرف الضابط مواقفه ولذلك شك في الأمر، وحاول التقرب منه بهدف التأثير في زملائه لإنهاء الإضراب، وتغيير مجرى الأحداث، ولكن الرجل أبى وأبى من حوله المعتقلين الذين كانوا متحدين متضامنين على مبدأ واحد. وراح الضابط بعد فشله في إنهاء الإضراب يصب جام غضبه على المناضل مسعود بوقادوم محملا إياه مسؤولية ما يجري داخل المعتقل، ومما قام به هذا الضابط ضد المناضل مسعود بوقادوم إجباره على الوقوف لمدة طويلة تحت العلم الفرنسي، تحت أشعة الشمس الحارقة قائلا له : " أعترف أن هذا العلم الذي لم تقر بسيادته على هذه البلاد قد نفعك يوما فوقاك حر الشمس." فأجابه المناضل بوقادوم: " يؤسفني أنه ضيق الرقعة، لا يتسع لإظلال شخصي، فكيف يظل شعوب بأسرها[2]."

تواصل الإضراب وبدأت أثاره تبدو على صحة المعتقلين، وحمل بعضهم إلى المستشفى، وتسرب خبر الإضراب إلى خارج المعتقل وشاعت المأساة، وأذاعت يومية " لادبيش القسنطينية " الخبر متسائلة ماذا يجري بمعتقل الشلال؟[3] وتدخلت السلطات وما الرسالة التي بعث بها رئيس دائرة سطيف المؤرخة في 22 جوان 1955 إلى المتصرف الإداري لبلدية المسيلة المختلطة إلا دليل على الحالة المتردية للحياة داخل المعتقل حيث يطلب فيها إجراء تغيرات حول سيرورة النظام في معتقل الشلال من النواحي التالية:

- تنظيم المركز.
- التزويد بالمياه الشروب.
- التزويد بالعتاد.
- توزيع اليد العاملة حسب الكفاءة.
- التزويد بالعتاد لإنجاز الأشغال[4].

وحاولت إدارة المعتقل عرض أنصاف حلول، ولكن أمام صلابة الموقف اضطرت السلطات إلى الاعتراف بالصفة السياسية للمعتقلين، كما توقف المعتقلون عن عمل السخرة وبالتالي تبخر

مشروع كنزلاس حيث توقفت الأشغال في سد فلاح واستؤنفت الحياة بشكل عادي ومقبول نوعا ما[1].

7.نهاية معتقل الشلال ونقل المعتقلين الى الجرف:

في أمسية يوم الثالث وليلة الرابع من شهر أوت 1955 حلت عاصفة هوجاء على المنطقة؛ حيث اشتدت فيه الحرارة حتى أصبح المعتقلون يلهثون من قلة الماء وشدة الحرارة، وبدأ يتكون سحاب أسود اللون بعيدا مشوبا بالحمرة، يتراكم آت من الشمال ويقترب من المعتقل. وماهي إلا دقائق فإذا مقدمات الزوابع الرملية تشتد وتطغى وتقترب، ثم تحولت إلى عاصفة قوية مصحوبة ببعض الأمطار ازدادت قوة والكل تمسك بتلك الخيم ولكن العاصفة اقتلعتها ومزقتها كلها وكان عددها آنذاك 75 خيمة، فتمسك المعتقلون ببعضهم مثنى مثنى، وثلاثة ثلاثة وقال أحد المعتقلين واصفا ماجرى: " لانرى بعضنا، الكل ساقط على الأرض، ولا نسمع إلا صفير الصفائح القصديرية التي اقتلعتها من على سقوف البيوت التي يسكنها الحراس حاملة كل ما أعترضها في الطريق، من أمتعة المعتقلين وتمسك الرجال ببعضهم، ولا أحد يستطيع أن يرفع رأسه قيد شبر عن وجه الأرض، ويرى أمتعته أخذتها العاصفة ولا يستطيع أن يمد يده ولا أن يرفع رأسه، وقد اشتد صفير الأشياء التي تمر فوق الرؤوس على الأرض وتحصد كل مل تجده أمامها."[2]

وقال فيها معتقل آخر شعرا واصفا إياها بالليلة الليلاء:

وليلة شؤم يخلع القلب هولها أتاحت على شلالنا بالعوادي
فلا تسمع الآذان إلا تزمجرا ولا تنظر العينان غير السواد
وإلا دعاء أرسلته حناجر تمد به نحوا لسماء الأيادي
تذكرنا والحال حال تخشع بما أخبر القرآن عن ريح عاد[3].

وبعد أن هدأت العاصفة أطلق الحراس صفارة الإنذار فذهب كل واحد إلى مكان خيمته التي اقتلعت نهائيا أو مزقت كليا، لإجراء عملية الإحصاء، وتشير بعض المصادر إلى فرار بعض المعتقلين مستغلين تلك العاصفة على غرار المناضل المعتقل أحمد منصوري[4]وبعض رفاقه الذين فروا من

المعتقل والتحقوا بجيش التحرير الوطني بجبال أولاد سلطان بالمعاضيد[1]. وبعد إبلاغ السلطات بما حدث اتخذت الإجراءات اللازمة لإخلاء معتقل الشلال الذي لم يبق منه إلا الاسم وإجلاء المعتقلين الى مكان آخر وقررت السلطات ترحيل المعتقلين إلى معتقل الجرف الذي يقع إلى الشرق من المسيلة بنحو18كلم، ولكن بعد تهيئته.

وخلاصة القول أن المصادر الشفوية تعد مصدرا هاما من مصادر كتابة التاريخ الحديث والمعاصر، تزايد دورها في الدراسات التاريخية الجادة في الأوساط الأكاديمية، خاصة في الدول المتقدمة، وركزت الكثير من الدراسات الحديثة على أهمية الروايات الشفوية لسد الفراغ الذي تتركه الوثائق الأرشيفية. ونحن في الجزائر في حاجة ماسة لكتابة تاريخ الجزائر المعاصر وبالخصوص تاريخ الثورة التحريرية بالاعتماد على الروايات الشفوية ممن عايشوا أحداثها، وأن يتكفل بذلك أساتذة متخصصون ومخابر بحث خاصة بالعملية، ولابد من الاسراع في هذه العملية قبل فوات الأوان لأن هؤلاء الذين عايشوا الأحداث أو الذين كانوا أطرافا فيها يتناقصون يوما بعد يوم.

الهوامش:

1- محمد عبد الكريم الوافي، **منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب**، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي،1998

2- مسعود ظاهر، **منهجية التاريخ الشفوي**، مجلة عالم الفكر،العدد36، الكويت،2008.

3- محمد مجاود، **أهمية المنهج الشفوي في الكتابات التاريخية**، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، تصدر عن مخبر البحوث التاريخية والاجتماعية، منشورات جامعة معسكر، عدد خاص، ديسمبر 2012، ص 09.

4- أبو القاسم سعدالله، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائ**ر، القسم الأول، ط 2، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 43.

5- محمد مجاود، المقال السابق، ص 14.

6 - Pierre Vidal Naquet**, La raison d'Etat Texte publiés par le comité Maurice Audin**, Les éditions de minuit,paris,France,1961,p124.

7- أحسن بن بلقاسم كافي، **نزيل المعتقلات (1955- 1962)**، مطبعة الوليد، الجزائر، 1985، ص 09 .

8- محمد الطاهر عزوي، **ذكريات المعتقلين**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص 15

9- المصدر نفسه، ص 36 .

10- نفسه، ص 40 .

11 - الجنيدي خليفة وآخرون، **حوارحول الثورة**، ج3، منشورات المركز الوطني للفنون المطبعية، الجزائر، 1986، ص ص 90-91.

12- Sylvie Thenault, **Un drôle de justice les magistrats dans la guerre d'Algérie**, préface de Jean Jaque Beeker, postface de Pierre Vidal Naquet, édition la Découvert, Paris, 2004, p 36.

13- محمد الطاهر عزوي، المصدر السابق، ص 36.

14- أحسن بن بلقاسم كافي، المصدر السابق، ص 09.

15- محمد الطاهر عزوي، المصدر السابق، ص 37.

16- أحسن بن بلقاسم كافي، المصدر السابق، ص 10.

17- محمد الطاهر عزوي، المصدر السابق، ص 37.

18- أحسن بن بلقاسم كافي، المصدر السابق، ص 09

19- محمد الطاهر عزوي، المصدر السابق، ص 37.

20- مسعود بوقادوم: أحد رجالات الحركة الوطنية، حيث انضم إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية وهو طالب بباريس، تولى مهام حزبية عديدة داخل الحركة، انتخب نائبا في البرلمان الفرنسي باسم حركة الانتصار، ألقي عليه القبض سنة 1955. وهو أحد معتقلي الشلال، توفي مؤخرا.

21- أحسن بن بلقاسم كافي، المصدر السابق، ص 14.

22- المصدر نفسه، ص 14.

23-Archive de la Commune Mixte de M'sila, Boite N° 98, Dossier N° 01

24- أحسن بن بلقاسم كافي، المصدر السابق، ص 14.

25- محمد الطاهر عزوي، المصدر السابق، ص 38 .

26- أحسن بن بلقاسم كافي، المصدر السابق، ص 17 .

27- أحمد منصوري: كان عضو ناشط في جمعية العلماء المسلمين، التحق بالثورة في بدايتها، حيث كان يقوم بجمع المؤونة والذخائر وجلب الأخبار ومراقبة تحركات الاستعمار الذي حط بقواته في مدينة مسقط رأسه مشونش بالأوراس وقد واصل عمله النضالي حتى ألقي عليه القبض في 05 جويلية 1955 وسيق إلى مركز الاستنطاق والتعذيب ثم نقل الى معتقل الشلال بالمسيلة, لم يمكث به طويلا حيث استغل العاصفة التي اجتاحت المعتقل في بداية أوت 1955 وفرّ مع بعض زملائه.

28- جمعية رواد مسيرة الثورة في منطقة الأوراس بباتنة، **شهداء منطقة الأوراس 1954- 1962**، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2002، ص 600.